

قصص القرآن

نبأ بني آدم والخراب

ريشة: مصطفى حسين

قلم: أحمد بهجت



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

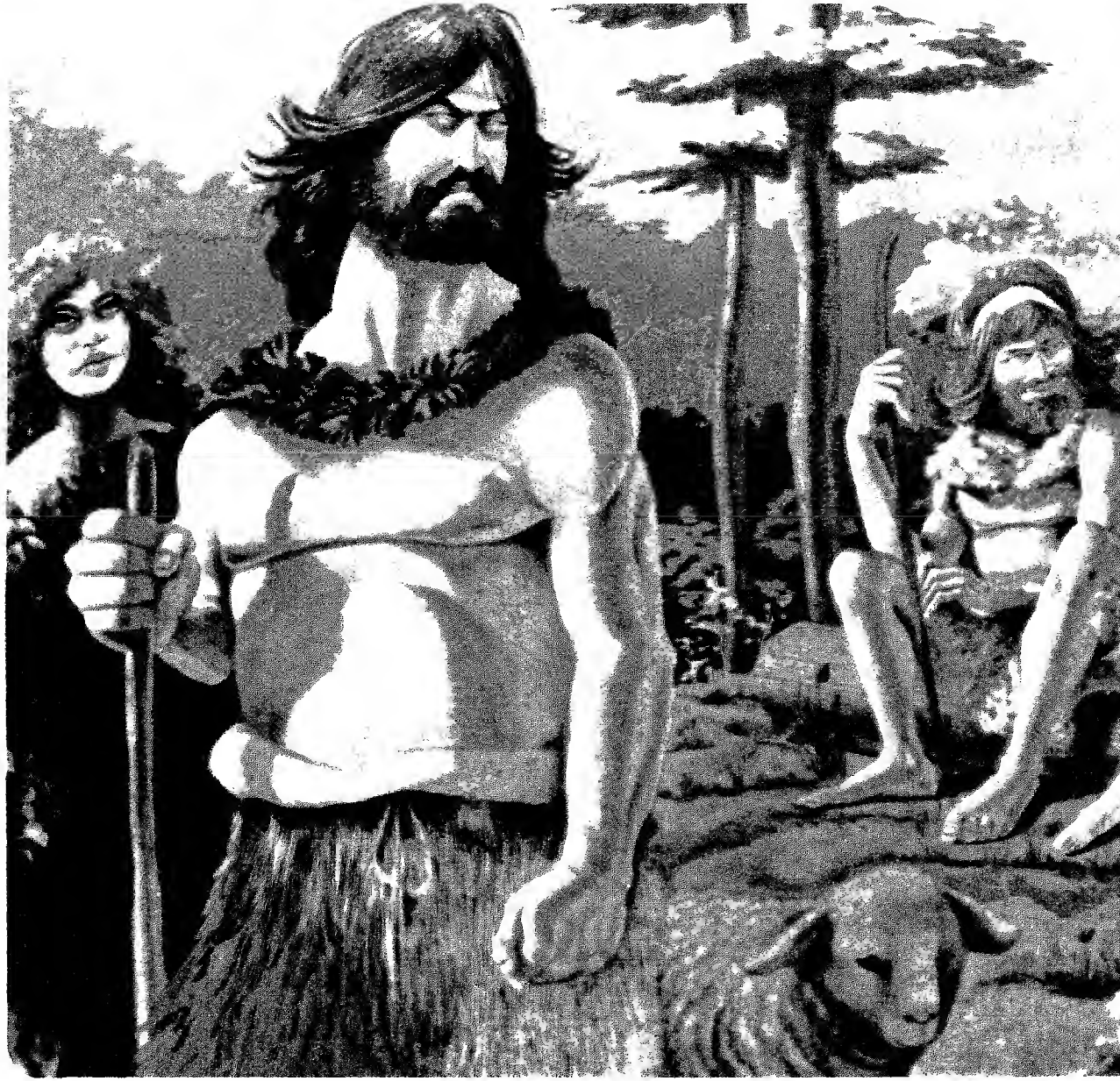
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسن - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب. : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقية : داشروق - تليكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

نبأ بني آدم والفُرااب

قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



عَنِيفاً وَصَارِماً كَانَ هَابِيلُ وَدِيعاً وَلَطِيفاً ،
وَكَانَتْ الْمَشَاعِرُ الدَّاخِلِيَّةُ الَّتِي تَمَلَأُ
قَلْبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَنْعَكِسُ عَلَى
وَجْهِهِ وَتَظْهَرُ عَلَى مَلَامِحِهِ . .

كَانَ قَابِيلُ قَوِيَّ الْجَسَدِ حَادِّ
الْمَلَامِحِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَاضِياً عَنْ حَظِّهِ
فِي الزَّوْاجِ ، وَبِالتَّالِي فَقَدْ كَانَ يَحْسِدُ
شَقِيقَهُ هَابِيلَ . . وَبِقَدْرِ مَا كَانَ قَابِيلُ



وَبَدَأَ هَذَا الْأَخُ يَحْسُ بِالكَرَاهِيَةِ نَحْوِ
أَخِيهِ .
كَانَ اسْمُ هَذَا الْأَخِ قَابِيلَ . . أَمَّا
الْأَخُ الثَّانِي فَكَانَ اسْمُهُ هَابِيلَ . .

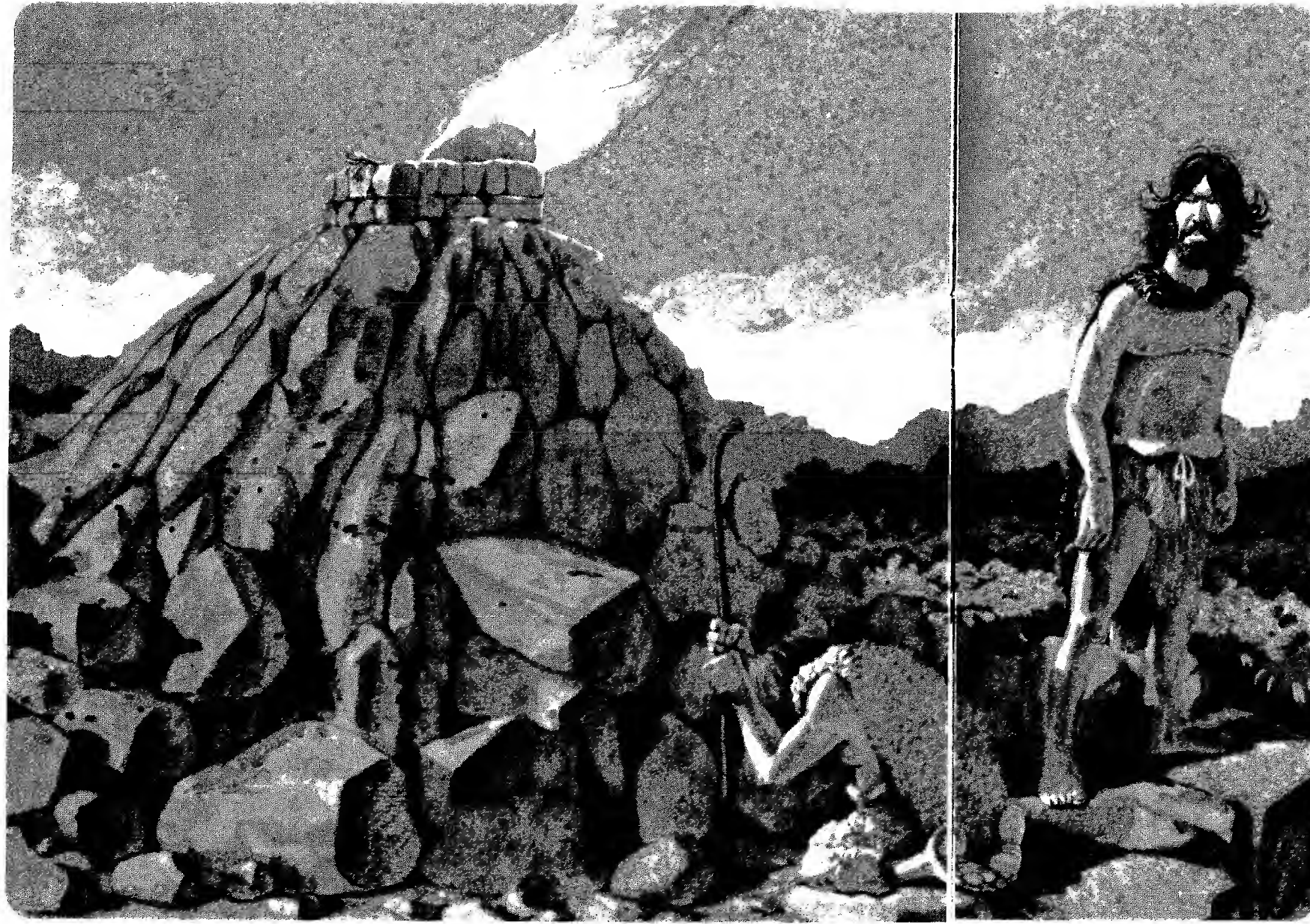
﴿بَرَكَ﴾ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بِهَبُوطِ آدَمَ
وَحَوَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ،
كَانَتْ حَوَاءُ تَلِدُ فِي الْبَطْنِ الْوَاحِدِ
تَوَامِينَ ذَكَراً وَأُنثَى . . فِإِذَا مَرَعَامُ
وُلِدَتْ فِي الْبَطْنِ الثَّانِي وَلِذَا وَبَتّاً . .

وَلَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لِلْوَلَدِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ
شَقِيقَتِهِ الَّتِي وُلِدَتْ مَعَهُ فِي نَفْسِ
الْبَطْنِ ، إِنَّمَا كَانَ يَسْتَطِيعُ الزَّوْاجَ مِنْ
ابْنَةِ الْبَطْنِ الثَّانِيَةِ ، بَاعِثَ اللَّهِ بَيْنَهُمَا كَمَا
بَاعِثَ بَيْنَ الْأَقَارِبِ . .

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْبَعِيدِ ، حِينَ كَانَ
بِالْوُجُودِ اثْنَانِ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ . . وَقَعَتْ
هَذِهِ الْقِصَّةُ لَهُمَا . .

تَزَوَّجَ الْوَلَدُ الَّذِي وُلِدَ فِي الْبَطْنِ
الْأَوَّلِ بِالْبِنْتِ الَّتِي وُلِدَتْ فِي الْبَطْنِ
الثَّانِي . . وَتَزَوَّجَ الْوَلَدُ الَّذِي وُلِدَ فِي
الْبَطْنِ الثَّانِي بِالْبِنْتِ الَّتِي وُلِدَتْ فِي
الْبَطْنِ الْأَوَّلِ . .

وَكَانَ أَحَدُ الْأَخَوَيْنِ غَيْرَ رَاضٍ عَنْ
زَوَاجِهِ حَيْثُ كَانَ يَرَى زَوْجَةَ الْآخَرِ
أَجْمَلَ مِنْ زَوْجَتِهِ .



وذاذ يومٍ أمر آدمٌ ولديه أن يُقدِّما
قرباناً لله ..

سألاه : ماذا يعني بالقربان ؟

قال آدمٌ : القربانُ هديةُ شكرٍ
إلى الله .. إذا تقبلها الله سبحانه
وتعالى ، فسوف تنزل من السماء ناراً
تلتهمها .. وسيكون هذا إيذاناً
بِقَبولِ الله لها .. أنصرف الأخوان
وجاء عيدُ الشكر ..

كان قابيلٌ غنياً ولكنه لم يكن
كريمًا .. وراح يفكرُ ماذا يُقدِّم
للسماء .. وخشي على كِباشِهِ وعُجولِهِ
وقرَّر أن يُقدِّمَ بعضَ أعوادِ القمحِ
الضعيفة التي قدَّر بينه وبين نفسه أنها لا
تصلحُ لصناعة الخبز .. كان سيرمِها
على أي حال .. لم يكن
ليستخدِمها .. هكذا فكر قابيلُ .

صَعِدَا جُزءاً منه ووضع كل واحدٍ منهما
قربانه ..

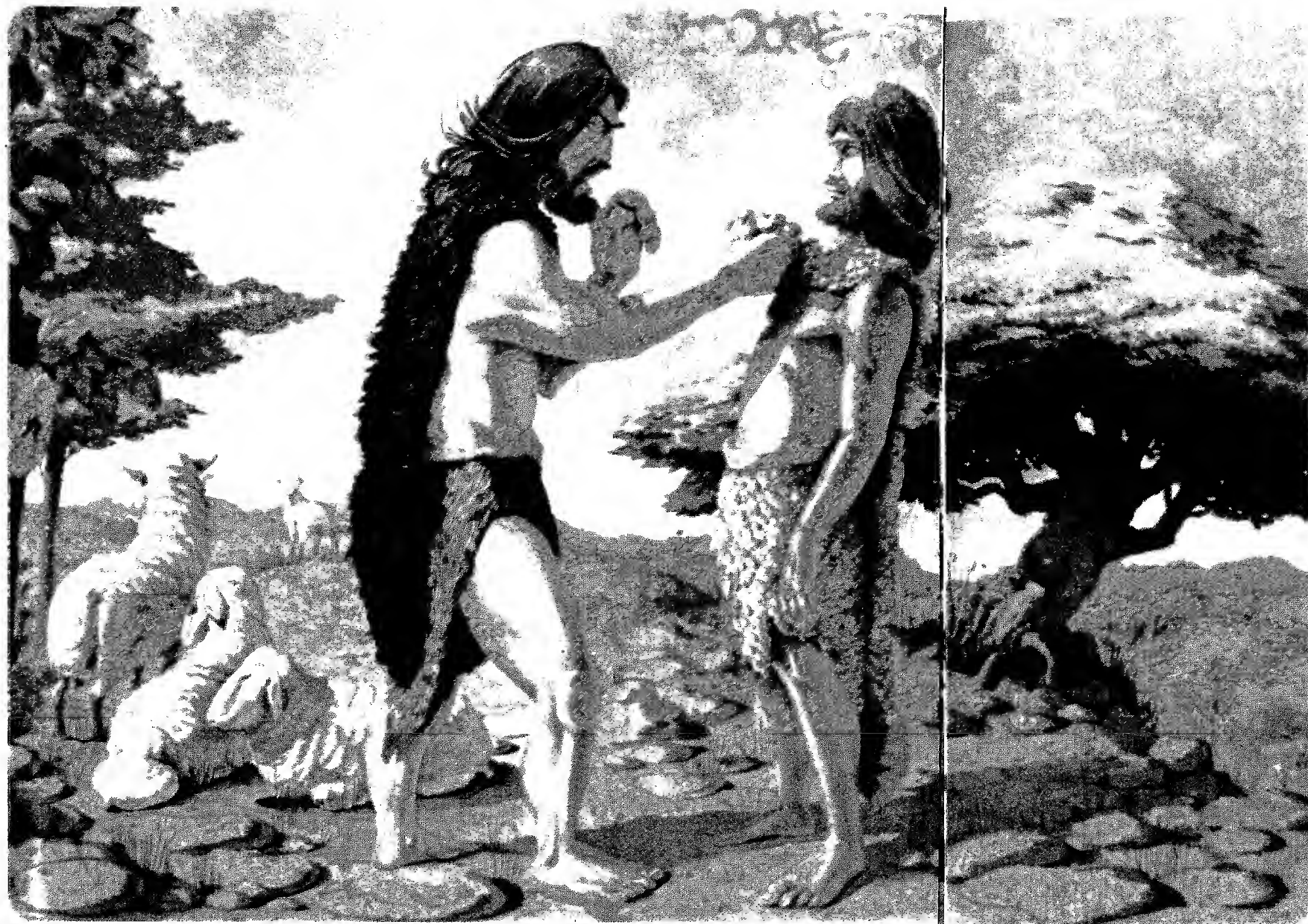
وضع هابيلُ كِبشَهُ السمين ..

ووضع قابيلُ حفنةً من أعوادِ

أما هابيلُ فكان رغمَ فقرِهِ كريمًا ..
حيثُ قرَّر أن يُقدِّمَ للقربانِ أسمنَ
الكِباشِ .

وتوجَّه قابيلُ وهابيلُ إلى الجبل ..

القمح ..
وأنحدرا من الجبلِ ووقفَا عند
سَفْحِهِ يَنْتَظِرانِ ..
هابيلُ .. وظلَّ قربانُ قابيلَ على حالِهِ
لم يمسَّه شيءٌ .
أنحنى هابيلُ يسجدُ لله ..
ووقفَ قابيلُ يُحدِّقُ في هابيلَ ..
هبطت من السماء ناراً أكلت قربانَ



ومن أعماق رُوحه تصاعدت مَوْجَةُ من
الغضبِ والكراهية . .

وأدرك قابيلُ أن الله يُحبُّ أخاهُ أكثرَ
مما يُحبه . . أدرك أن الله قد تقبَّلَ من
أخيه ولم يتقبل منه ، وبدلاً من التوبة
المُطهِّرة وإصلاح الذاتِ ، احترق
قلبُ قابيلٍ بكراهية عميقة نحو
أخيه . . ووسوسَ إليه الشيطانُ أن
يقتله . . كانت نظراته على البُعدِ
تكشِفُ قاعَ رُوحه التي تموجُ بأفكارِ
الشرِّ والجريمة .

أنفرد قابيلُ بشقيقه وسأله : لماذا
تقبَّلَ السماءُ قربانَكَ ولم تتقبَّلْ
هَدِيَّتِي . . قال هابيلُ : لا أعرفُ لماذا
حدثَ ذلك ، ولكنِّي أعتقدُ أن قلبَكَ
ليس صافياً لله ، لو صفنا قلبَكَ لله
لتقبَّلَ الله عَمَلَكَ وقربانَكَ . .

قال قابيلُ : ﴿ لَا قُتْلُكَ ﴾ .

قال هابيلُ : لا تغضبْ يا قابيلُ ،
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . . لو
ندمتُ الآن وعُدتُ إلى الله فسوف
يتقبَّلُ منك .

قال قابيلُ : ﴿ لَا قُتْلُكَ ﴾ .

وَإِثْمَكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ .

أنصرف قابيلُ ثائراً ومضى يفكر . .
أحسَّ أنه في حاجةٍ إلى أن يسيرَ

قابيلُ (ثائراً) : سأقتلك ذات
يومٍ . . ثق أنني فاعلٌ .

هابيلُ : لن أقاومَكَ لو حاولتَ
قتلي ، ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي ﴾

قال هابيلُ : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَنَّكَ . . إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴾ .



طويلاً حتى يُهدىء من نفسه الشائرة . .
كان الشيطان يُفكرُ معه ويسيرُ جواره أو
يَنبُضُ في دمايته ويوسوسُ إليه ويُزينُ له
فكرة القتل . .

قال قابيلُ لنفسه : لقد آن الأوانُ
لإزاحته من طريقي . . إن التخلُّصَ
منه سوف يُكسِبُنِي أرضه وزوجته . .

ومضى قابيلُ يسيرُ حتى انتهى إلى
شجرةٍ يرقُدُ جوارها حمارٌ ميتٌ . . كان
الحمارُ قد مات منذ قليلٍ . . وهبطتِ
الطيورُ الجارحةُ عليه من كلِّ اتجاهٍ
ومضتْ تلتهمُ لحمه . .

بعد ساعاتٍ قليلةٍ كان الحمارُ قد
تحولَ إلى هيكلٍ عظميٍّ . . ووقفَ
قابيلُ يرقُبُ المشهد . .

إن الصراعَ يجري في كلِّ مكانٍ
على الأرضِ ، فلماذا لا ينقضُّ على
شقيقه كما تنقضُّ هذه الطيورُ الجارحةُ
على المأدبة التي هيأها موتُ
الحمارِ . . .

أقربَ قابيلُ أكثرَ من الحمارِ
فطارتِ الطيورُ مُبتعدةً عنه . . تأملُ

قابيلُ الحمارَ . . .

تأملُ فكَّه . . ألا يصلحُ هذا الفكُّ
سلاحاً يتخلَّصُ به من أخيه ؟ مدَّ يدهُ
وأنزعَ فكَّ الحمارِ من الهيكلِ

العظميِّ وحمله ومضى به .

قال لنفسه : من يدري . . قد
يُخلِّصُنِي هذا الفكُّ من أخي !
فكرَ قابيلُ طويلاً في جريمته قبل أن

يرتكبها . . كان يعلمُ أن شقيقه هابيلَ
يحبُّ الطبيعةَ ، وكثيراً ما ينامُ في كهفٍ
صخريٍّ تطلُّ فتحتهُ على الحداثق .
قال لنفسه : سوف تحينُ فرصتي



حين يدخلُ الكهفَ وينامُ . .
وجاءَ يومُ الجريمةِ . . ودخلَ هابيلُ
إلى الكهفِ ونامَ فيه كعادته . . كان
هابيلُ مُرهقاً لم يَنمِ الليلةَ السابقةَ
كُلَّها ، سهرَ فيها إلى جوارِ زوجته التي
كانت تتألمُ وتتهيأُ لميلادِ طفلِها الأولِ ،
وفي الصُّباحِ المُبكرِ صحبَ زوجته
وذهبَ بها إلى أمَّهما حواءَ ، لكي تلدَ
عندها . . ثم ولدتُ ذكراً وبنتاً جميلين
فيهما صفاءُ هابيلَ . .

استراحَ هابيلُ أخيراً وجاءَ إلى كهفه
الأثيرِ ، وسُرعانَ ما استغرقَ في
النومِ . .

انتظرَ قابيلُ حتى تأكدَ أن شقيقه
نامَ ، ثم تسلَّلَ إلى الكهفِ وهو يُشدُّ
قَبْضَتَهُ على فكِّ الحمارِ . .

كان ذهنُه يَموجُ بتيارٍ من الشرِّ الذي
يَهْزُهُ هزّاً رغمَ صلابتِه . . وكان
الشيطانُ قد أَقْنَعَهُ بفكرةِ القتلِ وسوَّلَها
له حتى أنطبعَتْ في قلبِه . .

وأقترَبَ الشرُّ المسلَّحُ من الخيرِ
النائمِ ، استغلَّ الشرُّ فرصةَ نومِ الخيرِ
ورفعَ يدهَ وهوى بها على شقيقه . .

وتدفَّقَ دُمُ الشقيقِ يَجري على
الأرضِ . .
ماتَ هابيلُ . .
سكنتُ حركتُه واستسلمَ

للموتِ . . أحسَّ قابيلُ بالفزَعِ حين
هَمَدَتْ حركةُ أخيه تماماً وأستلقى على
ظهره ودُمُه ينزِفُ . . توقَّفَ قابيلُ عن
ضربِ أخيه وهزّه فوجدَه لا يتحركُ . .
أمتلأ قلبُه بخوفٍ باردٍ ولم يعرفَ ماذا
يفعلُ . . ناداه فلم يُجِبْه . . وحدَّثه
فلم يَلْتَفِتْ إليه . . وأدركَ قابيلُ أنه قتلَ
شقيقه . .



كان هابيل أول إنسان يموت على
سطح الأرض ، وكان موته أول
جريمة قتل تقع في الوجود
الإنساني . . لم يكن قد مات قبل ذلك
من البشر أحد . .

وحار قابيل ماذا يفعل بجسد شقيقه
الذي سكنت حرته ، وحار قابيل أين
يُخبئه ويخفي جريمته . .

وهكذا حمل قابيل جسد شقيقه
الميت هابيل ومضى يسير به . . أراد
أن يخبئه في مكان بعيد حتى لا يصل
إليه أحد . . لم يجد مكاناً يصلح
لذلك . .

ظل يسير حتى تعب ، ثم مزق
الهواء صوت طائر يصرخ ، أفزعته
الصرخة وملأت نفسه بشؤم
مجهول . .

التفت القاتل فرأى في السماء غراباً
يطير وهو يمسك بمنقاره شيئاً لم
يتبينه .

وزادت حيرته واشتد إحساسه
بالفزع . . وأحس بثقل أخيه كأنه

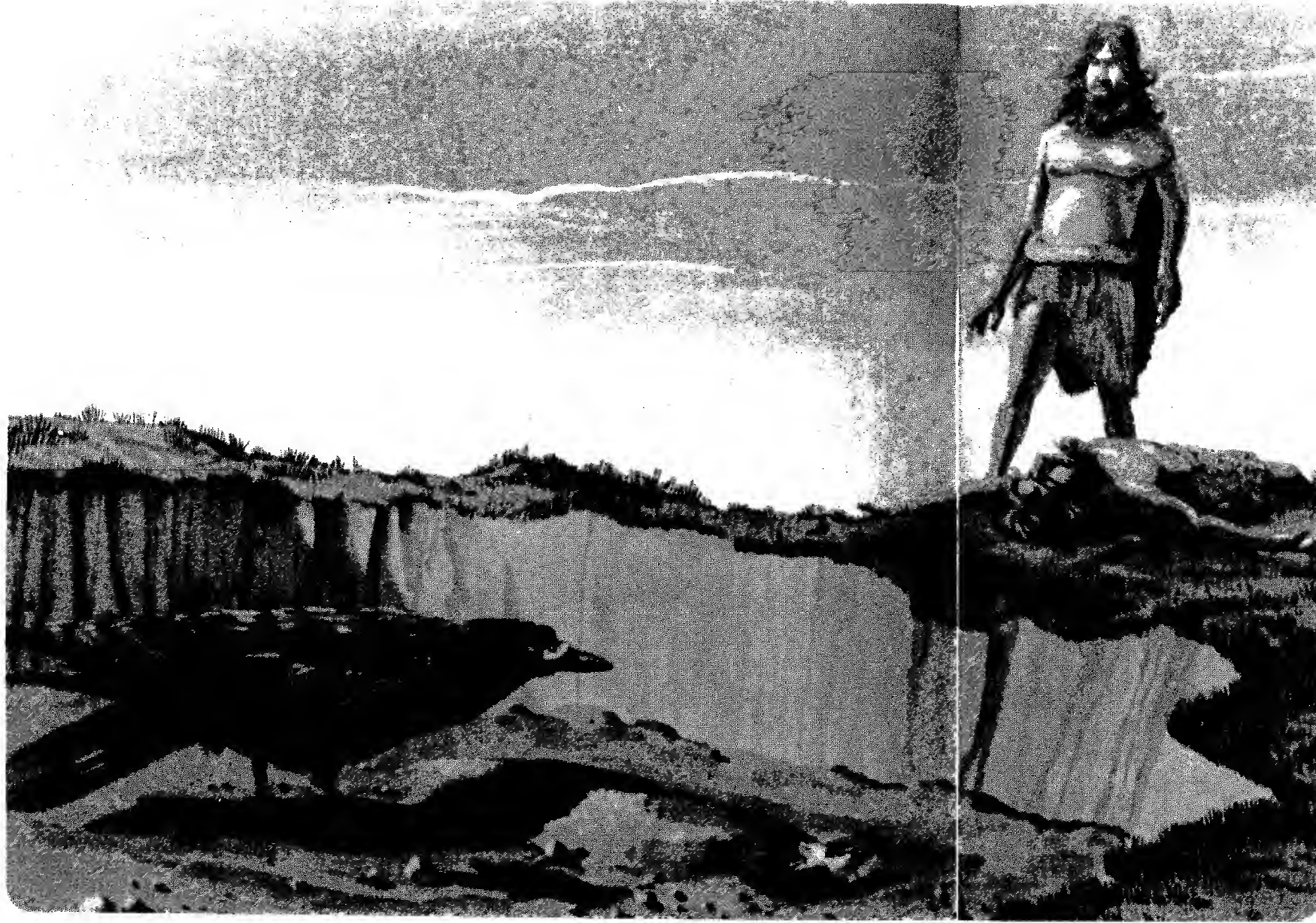
يحمل جبلاً ضخماً .

وقف قابيل ووضع شقيقه على
الأرض وهو لا يعرف ماذا يفعل أو
كيف يتصرف . .

كان حائراً تموج نفسه بمشاعر
مختلطة من الخوف والرعب
والقلق . .

ثم اقترب الغراب فرأه قابيل يحمل

غراباً ميتاً . . وضع الغراب الحي
شقيقه الميت على الأرض وساوى
أجنحته وحفر له حفرة بمنقاره
وأقدامه ، حتى إذا صنع لأخيه لحدّه



وَقَبْرُهُ ، رَفَعَهُ بِمِنْقَارِهِ وَوَضَعَهُ بِسَرْفِقِي فِي
قَبْرِهِ . ثُمَّ صَرَخَ صَرَخَتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ كَأَنَّهُ
يَبْكِيهِ وَعَادَ يَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرَابَ . . . بَعْدَهَا
طَارَ فِي الْجَوِّ وَهُوَ يَصْرُخُ . . .

وَأَدْرَكَ قَابِيلُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ
يُعَلِّمُهُ دَرَسِينَ مَعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . . .
أَمَّا أَحَدُ الدَّرَسِينَ فَقَدْ عَرَفَهُ قَابِيلُ
عَلَى الْفُورِ . . .

أَمَّا الدَّرْسُ الثَّانِي فَقَدْ عَرَفَهُ قَابِيلُ
بَعْدَ ذَلِكَ بَزْمَنِ . . .

لَقَدْ عَجَزَ قَابِيلُ وَحْدَهُ عَنْ دَفْنِ أَخِيهِ
رَغْمَ أَنَّهُ قَتَلَهُ ، وَلَوْلَا الْغُرَابُ مَا عَرَفَ
كَيْفَ يُوَارِي جَسَدَهُ الْهَامِدَ . . .

قَالَ لِنَفْسِهِ : لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَدْفُنُ
أَخِي وَدَفَنَ الْغُرَابُ أَخَاهُ . . .

كَانَ هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الْأَوَّلُ الَّذِي
تَعَلَّمَهُ قَابِيلُ . . .

عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ أَقْلٌ فِي مِيزَانِ الرَّحْمَةِ
مِنَ الْغُرَابِ . . . وَالْأَصْلُ أَنَّهُ سَيِّدُ
الكَائِنَاتِ .

وَنَهَضَ قَابِيلُ وَحَفَرَ حُفْرَةً لِأَخِيهِ
وَدَفَنَهُ فِيهَا ، ثُمَّ تَذَكَّرَ صُرَاخَ الْغُرَابِ

الْحَيِّ عَلَى الْغُرَابِ الْمَيِّتِ فَمَزَّقَهُ النَّدْمُ
عَلَى جَرِيمَتِهِ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ .

قَالَ وَهُوَ يَنْهَارُ عَلَى الْأَرْضِ : ﴿ يَا
وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا

الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي ﴾ !
أَنْصَرَفَ قَابِيلُ مُتَمَقِّعَ الْوَجْهِ مُتَرَعِّعَ
الْقَلْبِ بِالنَّدَمِ وَالْهُمُومِ .
وَجَاءَ الْمَسَاءُ وَلَمْ يَعُدْ هَابِيلُ . . .

وَمَرَّتِ الْأَمْسِيَّاتُ وَاللَّيَالِي وَلَمْ يَعُدْ
هَابِيلُ . . .
سَأَلَ آدَمُ قَابِيلَ : أَيْنَ ذَهَبَ هَابِيلُ ؟
قَابِيلُ : لَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبَ . . .



وقرأ آدم في عينيّ ابنه خَطِيئَتَهُ . .
وسأله :

— قابيلُ . . ماذا فعلتَ بأخيكَ
هابيلَ ؟ إن الله لم يَقْبَلْ قُربانَكَ . .
ماذا فعلتَ بأخيكَ ؟

وتذكّر قابيلُ قُربانَهُ الذي تَجَاوَزَتْهُ
السَّمَاءُ . . تذكّر كَلِمَاتِ هَابِيلَ لَهُ . .
لقد أَشَارَ يَوْمئِذٍ إلى النَّدَمِ . . حُثَّهُ
على النَّدَمِ حينَ رَفَضَتِ السَّمَاءُ
قُربانَهُ . .

لو أَنَّهُ عَرَفَ نَدَمَ التَّوْبَةِ الجميلِ على
الذُّنُوبِ لما أَهْلَكَه نَدَمُ الخَطِيئَةِ
الفاجِعِ . .

وكانَ هذا هو الدرسُ الثاني الذي
تعلَّمهُ قابيلُ . .

أنتهى الأمرُ ولم تعدْ لهذا الدرسِ
قيمةً . . صار قابيلُ قاتلاً . .

أنتهى الأمرُ وفقدَ طُمأنينةَ نفسِهِ
وتمزّقَ سلامُهُ الدّاخليُّ وأصبحَ من
النّادمين . . صارَ النَّدَمُ هو خُبْزُهُ اليوميُّ
المُر الذي قدرَ عليه أن يأْكُلَهُ طِوالَ
حياتِهِ . .

في نفسِ الوقتِ . . كانَ أبناءُ
الشَّهيدِ هَابِيلَ يَكْبُرُونَ في السَّنِّ . .
وكانَ هذا إشارةً إلى أن الدُّنيا ما
زالَتْ تنجِبُ الخيرَ وإن مَلَأَها الشرُّ . .

أهلُ النعيمِ . . وزادَ إحساسُهُ
بالمِراةِ . .
وعرفَ آدمُ بما حدثَ . . وزادَ نَدَمُ
قابيلَ . .

خسرَ قابيلُ نفسَهُ بسببِ جَريمتِهِ ،
وأدركَ أن كُلَّ مَكاسِبِهِ من جَريمتِهِ لا
تُساوي خِسارةَ نفسِهِ . . أدركَ أَنَّهُ من
أهلِ النارِ . . وأدركَ أن شقيقَهُ من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَنا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَهْلِهَا وَلَمْ
يَتَقَبَّلْ مِنَ الْإِنْسِ قَالَ لَا أَتَقَبَّلُكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾
لَنْ يَسْطِيَكَ إِلَهٌ لَكَ لِنَفْسِي ﴿٢﴾ أَنَا نَبِيٌّ بِرَدِّي إِلَيْكَ لَا أَتَقَبَّلُكَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ
فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ
نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سُوَةَ أَخِيهِ قَالَ يَتُوبُ لِنَفْسِي أَعْمَرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سُوَةَ أُمِّي فَأَصْبَحَ مِنَ التَّائِبِينَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

